



مايكل أنجلو

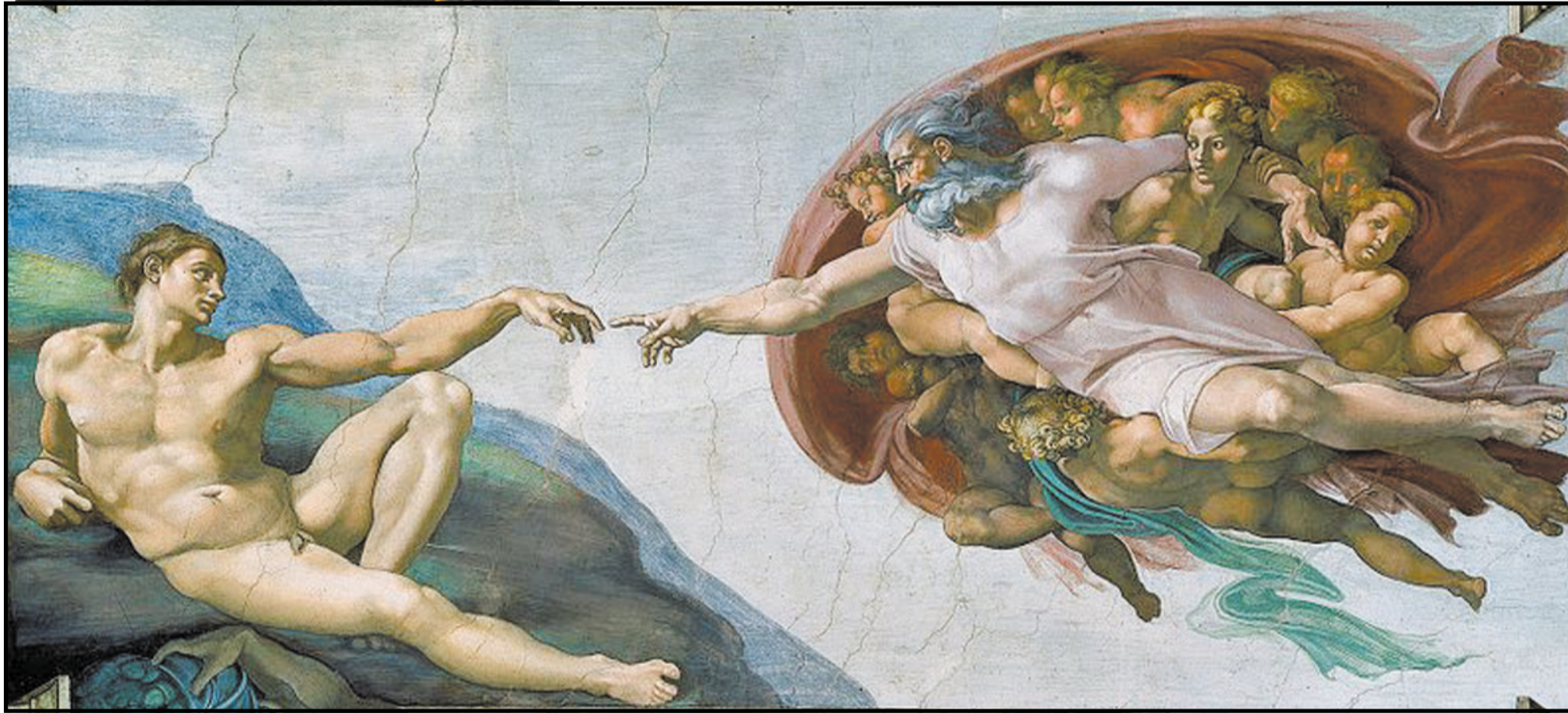
من مايكل أنجلو حتى غارسيا ماركيز:

## الكتابة تلميحاً وظلالاً وسنوات من ظلام

لؤي حمزة عباس



البصرة



لوحة آدم

تحت سماء السقف المرسوم في كنيسة السيستيان يقف غابرييل غارسيا ماركيز موهن القوى، مصوباً عينيه على المسافة الدقيقة الفاصلة بين سبابتي الرجاء والأمل، المسافة التي نشأت على أرضها أم وعاشت حضارات ودارت أحقاد ودُومت حروب، في لحظة النظر تلك يفكر رجل الأخيذة السحرية بكتابة رسالته الأخيرة لأحبته وأصدقائه وقرائه من كل جنس ولون. هل أغضب عينيه لحظة رأى أصابع مايكل أنجلو تعيش حلمها السماوي، وفرشاته تتوج، يقودها حنو الموهبة التي لا تتكرر، فتمر حانية على نداء الروح المصوبية في الأصابع؟



كنيسة سيستيان منظر خارجي

### منحوتة الوقت

تشكل الكتابة منحوتة الوقت وتتشكل من خلالها، أن تكتب يعني أن تمنح الوقت شكلاً، تجعل له ملمساً، وتركب له طعماً ولوناً ورائحة، الوقت، خارج الكتابة، وقت عابر، زورق هائم في بحر، نقطة لون في أفق يمتد، أو ينحني، أو يميل مسوهورباً للفناء، نقطة اللون، مع الكتابة، تبدو كوتاً من الألوان، في الوقت، في الكتابة، وقت عاقل، هو البحر في قطرة، والقطرة في جملة عابرة.

الفرات، في عته حيث ينام الناس على همدية النواعير وهي تدور دورتها الأبدية. حدثنا عن الناعور الذي يسمع الطفل صوته في صمت الليل وفور أن يغمض عينيه يراه، يرى الناعور يدور، مياحه تسقي حداثك الظلام، ما أن يكمل دورته حتى يغيب شيئاً فشيئاً، ويظل صوته يتردد في جوف الليل، طفل عنه توجه إلى بغداد لإكمال دراسته ومنها إلى القاهرة للكتابة عن المرأة في القصة العراقية، ومنها عاداً إلى بغداد ليستقر بعدها، سنوات طويلة، في البصرة، المدينة التي أنصت فيها لصوت داخل حسن ياتي من مدينة الناصرية ليل نهار، طويلاً رمال الجنوب الفسحة ومياه أهوارها. وجه مطرب ريف الجنوب يعيد الطفل لوجه أبيه وصوته يأخذه لهدمة الناعور، لأنينه الجاري مع النهر، الناعور الذي أخذ الطفل إلى الكتابة، الطفل وقد غدا شيخاً، يغمض عينيه، بعد سنوات بعيدة، يحاول، كعادته، الانصات لأصوات النوم الأولى، لرنة الحزن العميقة في صوت الناعور، معها يلتقط صوت هرمان هيسه يتردد مثل أجراس حلم بعيد: لقد أدركت، للمرة الأولى، أنه حتى في هذا الطريق الحبيب، فإن الحزن ما هو إلا ظل غمامة فحسب. ليس هذا الحزن إلا موسيقى ناعمة لمرور الزمن، وبدونه لن يمسن أي شيء جميل.

### معنى الحياة

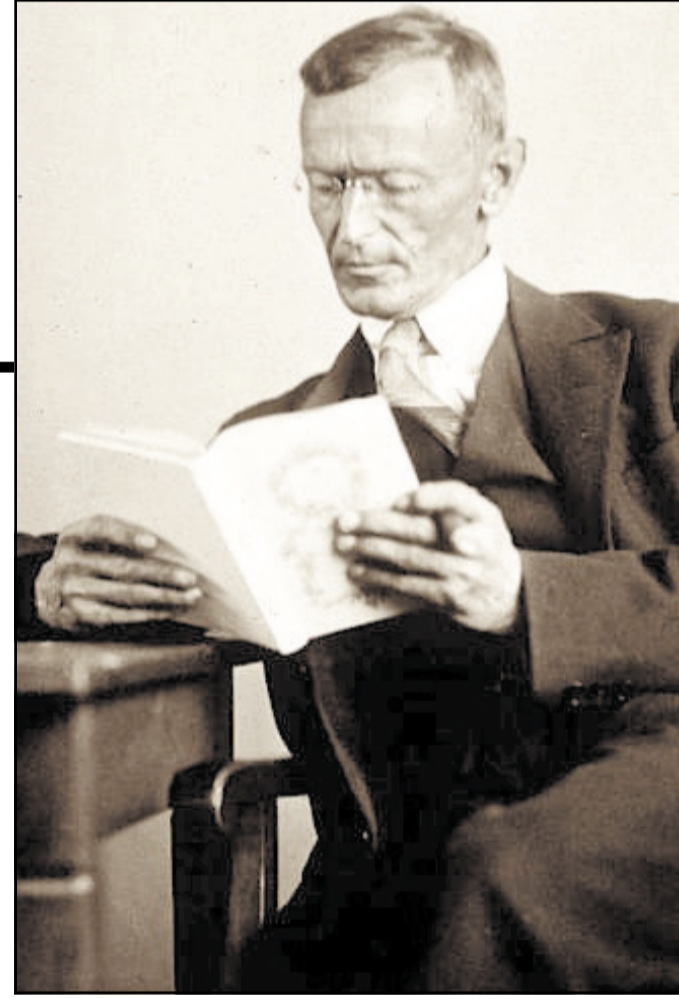
هو المعنى، مرة أخرى، معنى الحياة التي تعلمنا أن الجميع يريد أن يعيش في قمة الجبل، من دون أن يدرك أن سر السعادة الحقة يكمن في تسلقه.

### تعريف الكتابة

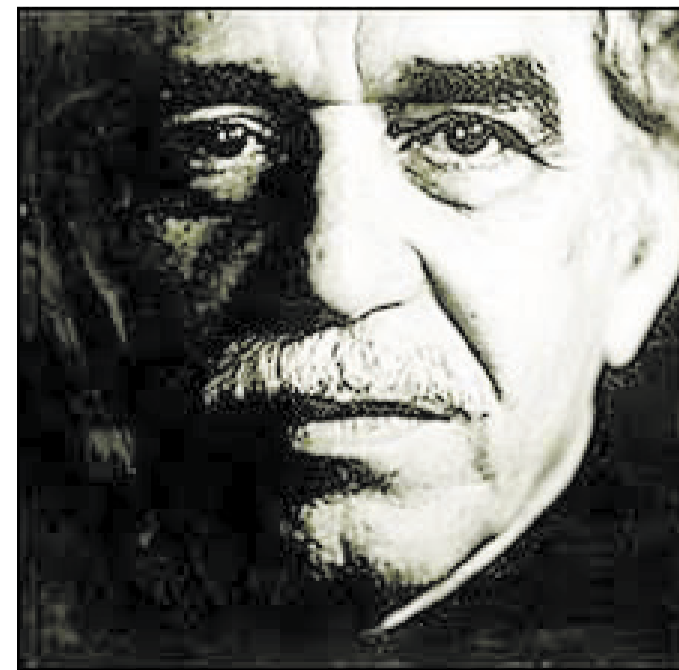
تسلق الجبل، بما يوجب من معنى السعادة، يمكن أن يكون تعريفها ناصعاً للكتابة في محاولتها المستمرة للإنصات لنداء الحياة، والتعبير عن لحظتها الغدة التي تتربك، لغرابتها، من ولادة وموت، حيث تتبادل الكلمتان المواقع إلى الأبد، في دورة من كون واسع وفساد تتفتح تجربة الإنسان على ما لا ينتهي من الأحزان والمسرات، من الوسواس والظنون.

### ماركيز ينصت

تحت سماء السقف المرسوم في كنيسة السيستيان يقف غابرييل غارسيا ماركيز موهن القوى، مصوباً عينيه على المسافة الدقيقة الفاصلة بين سبابتي الرجاء والأمل، المسافة التي نشأت على أرضها أم وعاشت حضارات ودارت أحقاد



الكاتب الألماني هيرمان هسه



غابرييل غارسيا ماركيز

إذا كان ثمة تحرر عبر الكتابة، فهو ليس في الكتابة ذاتها، بل في هذه المشاركة مع أناس مجهولين في تجربة مشتركة. ليست وظيفة الكتابة أو نتاجها طمس جرح أو علاجه، إنما اعطاؤه معنى وقيمة، وجعله، في النهاية لا ينسى. (أني إرنو/ المكان)

### قران

تقترب الكتابة عندي بمايكل أنجلو، بلحظة دقيقة نابضة جسدياً على سقف كنيسة السيستيان في الفاتيكان، Sistine Chapel في لوحة (خلق آدم)، The Creation of Adam، حيث تنحني كف الإله جوبتير انحناء رخاء، في تفصيل باهر، ترتفع سبابتها كأنما لتتحقق نغم اكتمال حركتها مع الإبهام، تقابلها يد الرغبة والتشوق والأمل، يد آدم وهي تمد سبابتها أفقاً وحيداً للحياة، البدان في تقابلهما وجوارهما تحققان، لحظة تنصريان، براعة التعبير عن الرجاء الإنساني الساحر، عن التواصل الذي يغدو أملاً لا سبيل من دونه للحياة، عن حلم الإنسان بالإنسان. إنها الكتابة، لحظتها الأعرق وتلخيصها الأنيق، علامتها الماهرة، رخاؤها، رغبتها، أمليها، تشوقها، رجاءها، حزنها، والمها الدفين، لو سؤلت يوماً عن معنى الكتابة في نفسي لتحدثت من فوري عن لوحة مايكل أنجلو، عن سقف الكنيسة المفتوح سماء للتواصل الصعب والشعور المستحيل، عن تفصيله الذي يخترن وعد طريق مغمم بالرجاء، عن أصعب تمتد نداء حياة حيث لا حياة للإنسان إلا بالإنسان.

### سنوات

أربع سنوات متواصلة قضائها مايكل أنجلو يعمل مستلقياً على ظهره، سقف الكنيسة يقبته الواسعة يبيض تحت لمسات فرشاته، يُشرق ويضيء، العبقورية الشابة تعمل بدقة متناهية لتنتج ثلاثمائة وأحدى وتسعين مجسماً في غرفة الهيكل، وتسع صور من مشاهد قصة الخلق، والعديد من مجسمات الرموز البابوية. الجهد الذي أخذ الفنان بعيداً وهو يُنصت لأجراس الخلق الأولى وهي ترن في أعماق نفسه قبل أن تتجسد أنوارها على السقف. حدثنا كتب تاريخ الفن أن الفنان فقد البصر جزئياً بسبب الجهد المضي وتساوق الألوان في عينيه، لكن الحقيقة هي أن المعجزة وحدها ما أخذت البصر منه وربته إليه، معجزة أن يرى المرء كل هذا الجمال محبوكاً في حكاية واحدة.

### الدخول إلى الكنيسة

هل كان الفنان الشاب يعرف لحظة دخل إلى الكنيسة البابوية، حاملاً ريشته والوانه في يده، وفكرة لوجته "يوم القيامة" والخلق تتموج في مخيلته مثل ستارة تلاعبها الريح، أنها ستحتل جدران واحد من أكثر الأمكنة قدسية في العالم، وأنها ستكتب أكثر التعريفات براعة لحلم الإنسان؟

### الكتابة والحلم

تنبثق الكتابة من الحلم. يولد الحلم من الكتابة. الكتابة شجرة الأحلام. الأحلام شجرة الكتابة. مثلما لكل منا ورقته في كتاب الحياة، فإن للكاتب حلماً واحداً، هو حلم الكتابة الذي يأخذه إلى حقول النور، حلم يتشكل في صورة أو قبلة أو ترنيمة أو حكاية عابرة.

### حدايق الظلام

أحد أساتذتي ولدت أحلامه مع الكتابة من أثنى الناعور على نهر